بسم الله الرحمن الرحيم

لُغَةُ الْقُرْآنِ وَالْحِفَاظُ عَلَىٰ الْهُوِيَّةِ 5 جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ 1446هـ

عِبَادَ اللهِ: مَا أَجْمَلَ دِينَ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ أَمَرَ بِكُلِّ حَسَنٍ وَدَعَا إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ، وَنَهَىٰ عَنْ كُلِّ سُوءٍ، وَحَذَّرَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَرَذِيلَةٍ، وَأَمَرَ بِسَائِرِ الْآدَابِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، مِثْلِ الصِّدْقِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ، وَالتَّوَاضُعِ وَالْحَيَاءِ، وَالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ وَحِفْظِ السِّرِّ، وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّبْرِ، وَالْأُلْفَةِ وَالْقَنَاعَةِ، وَالْعِفَّةِ وَالْإِحْسَانِ، وَالسَّمَاحَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَالشُّكْرِ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْجَارِ، وَحِفْظِ مَالِ الْيَتِيمِ وَرِعَايَتِهِ، وَرَحْمَةِ الصَّغِيرِ وَاحْتِرَامِ الْكَبِيرِ، وَالرِّفْقِ بِالْخَدَمِ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ التَّشَبُّهِ بِأَعْدَاءِ اللهِ مِمَّا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِمْ فِي لِبَاسِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ عِنْدَ التَّزَيُّنِ وَالتَّجَمُّلِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْمَخِيلَةِ، وَتَجَاوُزِ التَّجَمُّلِ الْمَحْمُودِ الْمَشْرُوعِ إِلَىٰ الْمَذْمُومِ الْمَمْنُوعِ، بِحَيْثُ يُرَىٰ الْقَبِيحُ حَسَنًا، وَتَغْيِيرُ خَلْقِ اللهِ زِينَةً وَجَمَالًا، فَلَا عَجَبَ عِنْدَئِذٍ أَنْ يُصْبِحَ فِي نَظَرِهِ إِظْهَارُ مَفَاتِنِ الْجَسَدِ وَالتَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ وَتَرْكُ الْعِفَّةِ عِنْدَ الْمَرْأَةِ، وَالتَّخَنُّثُ وَالْمُيُوعَةُ عِنْدَ الرَّجُلِ مِنْ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ وَالْمَحَاسِنِ، وَهَذَا انْتِكَاسٌ فِي الْفِطْرَةِ، وَانْحِرَافٌ فِي السُّلُوكِ، وَفَسَادٌ فِي الذَّوْقِ، وَنَبْذٌ لِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ جَاءَتِ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَىٰ تَمَيُّزِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْكَافِرِينَ، وَتُحَرِّمُ التَّشَبُّهَ بِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: تَحْرِيمُ التَّشَبُّهِ بِأَعْدَاءِ اللهِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ

يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، **وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**».

الثَّانِي: الْحِرْصُ عَلَىٰ بَقَاءِ الْهُوِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِنَّهَا هُوِيَّةٌ هِيَ أَشْرَفُ وَأَزْكَىٰ، وَأَجَلُّ وَأَسْمَىٰ، وَأَرْفَعُ وَأَكْرَمُ. هُوِيَّةٌ بِها يُرْفَعُ الرَّأْسُ، وَيُشْرِقُ الْوَجْهُ، وَيَطِيبُ الثَّنَاءُ، (هُوِيَّةُ مُسْلِمٍ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ).

هُوِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ يَحْمِلُهَا الْمُسْلِمُ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلْ. لَا يَتَخَلَّىٰ عَنْهَا فِي عُسْرِهِ وَلَا فِي يُسْرِهِ، وَلَا يُخْفِيهَا فِي سِرِّهِ وَلَا فِي جَهْرِهِ.

هُوِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، وَذَلِكَ بِلُزُومٍ لِمَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاسْتِمْسَاكٍ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَاسْتِمْسَاكٍ بِعَقِيْدَتِهِ الصَّافِيَةِ، وَأَحْكَامِهِ الْوَافِيَةِ، وَشَعَائِرِهِ الظَّاهِرَةِ، وَطَهَارَتِهِ الْبَاطِنَةِ، وَأَخْلَاقِهِ الْعَالِيَةِ، وَآدَابِهِ السَّامِيَةِ، وَاعْتِزَازٍ بِلُغَتِهِ الْبَلِيْغَةِ، وَتَارِيخِهِ الْمُشْرِقِ.

إِنَّهَا هُوِيَّةٌ لَا يَحْمِلُهَا إِلَّا مَنْ أَدْرَكَتْهُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ، وَنَالَهُ مِنَ اللهِ كَرَمٌ، ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، وَصَدْرٌ شُرِحَ لِلْإِسْلَامِ مُنْقَادٌ لِتَعَالِيمِهِ، مُسْتَبْشِرٌ بِقِيَمِهِ، مُعْتَزٌّ بِانْتِمَائِهِ.

الثَّالِثُ: التَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِلَىٰ الشَّامِ، وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ، فَأَتَوْا عَلَىٰ مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَىٰ نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا

الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَّهْ! لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ**، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ.

الرَّابِعُ: الِاعْتِزَازُ بِالْإِسْلَامِ. فَقَدْ جَلَّى الْقُرْآنُ حَقِيقَةَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ هَذَا الدِّينِ، فَشَبَّهَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ثُمَّ سَجَّلَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ضَلَالِهِمُ الْبَلِيغِ بِأَنْ سَلَبَهُمُ الْعُقُولَ وَالْأَسْمَاعَ، وَشَبَّهَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ بِالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ؛ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ يَهْدِيهَا رَاعِيهَا فَتَهْتَدِي، وَتَعْرِفُ طَرِيقَ هَلَاكِهَا فَتَجْتَنِبُهُ، وَهِيَ أَيْضًا أَسْلَمُ عَاقِبَةً مِنْ هَؤُلَاءِ، فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الرَّامِيَ لِلرَّسُولِ بِالضَّلَالِ أَحَقُّ بِهَذَا الْوَصْفِ، وَأَنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ بَهِيمٍ فَهُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُ. اهـ وَهَذَا لَا يَعْنِي عَدَمَ الْإِفَادَةِ مِنْ مُخْتَرَعَاتِهِمْ، وَلَا تَجَارُبِهِمْ فِي عِمَارَةِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، الَّتِي هُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ.

الْخَامِسُ: لُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَذَرُ مِنَ التَّفَرُّقِ. فَإِنَّ الِاجْتِمَاعَ قُوَّةٌ، وَالتَّفَرُّقَ ضَعْفٌ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

السَّادِسُ: الْعِنَايَةُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (لُغَةِ الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ). لَقَدْ أَدْرَكَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مَدَىٰ أَهَمِّيَّةِ اللُّغَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهَا تَعْنِي الْقُدْرَةَ عَلَى الِارْتِبَاطِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، مَصْدَرِ عِزِّهِمْ وَقُوَّتِهِمُ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَعَمِلُوا فِي حَرَكَاتِهِمُ الِاحْتِلَالِيَّةِ لِبِلَادِ الْإِسْلَامِ -الَّتِي تُسَمَّىٰ زُورًا بِالِاسْتِعْمَارِ-، عَمَدُوا إِلَىٰ طَمْسِ لُغَةِ

الْقُرْآنِ، وَإِحْلَالِ اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ أَوِ الْفَرَنْسِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا حَسَبَ لُغَةِ الْمُحْتَلِّ لِلْبَلَدِ! لِيَنْشَأَ جِيلٌ لَا يَسْتَطِيعُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»: وَلِهَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ لَمَّا سَكَنُوا أَرْضَ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَلُغَةُ أَهْلِهِمَا رُومِيَّةٌ، وَأَرْضُ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَلُغَةُ أَهْلِهِمَا فَارِسِيَّةٌ، وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ، وَلُغَةُ أَهْلِهَا بَرْبَرِيَّةٌ، عَوَّدُوا أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةَ، حَتَّىٰ غَلَبَتْ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ، مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَهَكَذَا كَانَتْ خُرَاسَانُ قَدِيمًا. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَسَاهَلُوا فِي أَمْرِ اللُّغَةِ، وَاعْتَادُوا الْخِطَابَ بِالْفَارِسِيَّةِ، حَتَّىٰ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ وَصَارَتِ الْعَرَبِيَّةُ مَهْجُورَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مَكْرُوهٌ، وَإِنَّمَا الطَّرِيقُ الْحَسَنُ اعْتِيَادُ الْخِطَابِ بِالْعَرَبِيَّةِ، حَتَّىٰ يَتَلَقَّنَهَا الصِّغَارُ فِي الْمَكَاتِبِ وَفِي الدُّورِ، فَيَظْهَرُ شِعَارُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَسْهَلَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي فِقْهِ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ السَّلَفِ، بِخِلَافِ مَنِ اعْتَادَ لُغَةً، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَىٰ أُخْرَىٰ، فَإِنَّهُ يَصْعُبُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اعْتِيَادَ اللُّغَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالدِّينِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا، وَيُؤَثِّرُ أَيْضًا فِي مُشَابَهَةِ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمُشَابَهَتُهُمْ تَزِيدُ الْعَقْلَ وَالدِّينَ وَالْخُلُقَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ نَفْسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَتَهَا فَرْضٌ وَاجِبٌ؛ فَإِنَّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَرْضٌ، وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

ثُمَّ مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْأَعْيَانِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اعْتَزُّوا بِهُوِيَّتِكُمُ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا مَصْدَرٌ لِلْقُوَّةِ، وَعِمَادٌ لِلثَّبَاتِ، تَتَحَطَّمُ أَمَامَ صَلَابَةِ هَذِهِ الْهُوِيَّةِ طُمُوحَاتُ الْغُزَاةِ، وَتَتَلَاشَىٰ أَمَامَ مَتَانَتِهَا أَحْلَامُ الْمُتَآمِرِينَ.

عِبَادَ اللهِ: هُوِيَّةُ الْمُسْلِمِ عَقِيدَةٌ وَمَبْدَأٌ وَشِعَارٌ، يُنَشَّأُ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ، وَيَعْتَزُّ بِهَا الْفَتَىٰ، وَيُكَافِحُ دُونَهَا الْكَهْلُ، وَهِيَ وَصِيَّةُ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.